

"ديولن لك القلب أيتها السنبلة"

قراءة للبنية الدلالية في ضوء المنهج الأسلوبي

أ. صافية دراجي

جامعة قسنطينة 1

إن القراءة للشاعر "عبد الملك بومنجل" هي قراءة للشعر الجزائري المعاصر الذي ظهر في حقبة التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية. هذه التحولات التي رسمت معالم أخرى للقصيدة الجزائرية التي تتفق بالرمزية في بحثها عن هوية الأنا والآخر مع واقع متخثر بالجراح والآمال الواعدة.

الشاعر "عبد الملك بومنجل" هو أنموذج الشاعر الذي يبحث في روح القصيد عن صورة الإنسان الإنساني المفعم بالقيم الحية، عاش التغيرات التي مر بها الوطن ونمر بها الأمة فحمل على عاتقه عبء بناء الذات المشدودة بالأصالة رافضة الذوبان في هوية الآخر. إنه الشاعر الذي يبحث عن عالم الفضائل ويشيد بالمثل العليا والأخلاق السامية.

وقد اعتمدنا على استقراء هذا النبض الحي الذي يترجم بالنقاء العذب اعتمادا على المنهج الأسلوبي. لما للمنهج من قدرة تحليلية وأدوات إجرائية تفصح عن سر الجمال والتفرد في الاستخدام اللغوي والنحوي والانزياح الدلالي. فالأسلوبية تتحد

* الديوان للشاعر الأستاذ الدكتور "عبد الملك بومنجل" من مواليد 1970 بمدينة خراطة ولاية بجاية. تحصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة تيزي وزو؛ وعلى شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر. يشغل أستاذا بجامعة سطيف. من دواوينه الشعرية: "لك القلب أيتها السنبلة"، "حديث الفجر والكبرياء"، "الذكت (ات) وز"، "أنت أنت الوطن".

بدراسة الخصائص التي تحول الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية . الجمالية، وتنظر في الخصائص التي تجعل الخطاب الأدبي الفني مزدوج الوظيفة والغاية يؤدي ما يؤديه الكلام العادي لكنه في الآن ذاته يسلط على المتلقي تأثيراً ضاعطاً¹. تسطع قصائد الشاعر "بومنجل" المجموعة في ديوان "لك القلب أيتها السنبلة" بدفقة شعورية وجمالية، وبإحساس مرهف وتمثيل خصب جميل لمعالم الحياة والموت، لماضي والحاضر، الفكر والوطن، الجرح والكبرياء، الحب والجمال... عبر مسار شعري يصل الماضي بالحاضر ليستقي من خيطه الإبداعي صوراً شعرية تخرق بتشكيلها المنزاح لغة الكلام العادية لتنفجر وفق لغة جديدة وبأسلوب جديد حي جميل ومثير و"النص الأدبي ليس كلاماً عادياً وهو لا يحيل إلى شيء خارجي بقدر ما يتمحور حول مادته الداخلية"². إن مكن الجمال في النص الأدبي هو النص الأدبي ذاته، ومبعث السحر في لغته وبيانه وعذب ألفاظه، يستقرئ هذا الإبداع في ديوان "السنبلة" من خلال ثلاثية: الله، الوطن، المرأة. وهذه المضامين الرئيسية شكلت الديوان الشعري بتقسيمه الثلاثي:

"الحلم يقتل مرتين" هو عنوان التلث الأول، يث الشاعر من خلاله أوجاعه وأوجاع الوطن الذبيح، يث عنفوان أحلامه التي سفكت، براءته التي انتهكت، فكره رؤاه التي قمعت في عقر دارها.

أما الجزء الثاني فكان عبارة عن مناجاة إلهية ورحلة صوفية في محراب الملكوت الأعلى "رحلة في الظلام" هو حديث الشاعر عن رحلة إلى عالم النقاء والطهارة. "ونك القلب يا زهرة الكبرياء" هو عنوان الجزء الأخير، يسرد الشاعر من خلاله رحلة حبه العفيف راسماً صورة المرأة النقية الطاهرة.

1. عبد السلام البسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط2، الدار العربية للكتاب، 1982، ص36.

2. جورج مولنيه: الأسلوبية. تراج وتقد بسم بركة، ط2، منشورات مجد، بيروت: لبنان 2006، ص18.

من خلال هذه المضامين الثلاثة: الله، الوطن، المرأة، ومن خلال الخزمة الأسلوبية التي تشكل ما في النص من مؤشرات دالة أو ذات دلالة التي تتداخل فيها صور البلاغة وحسن الجمال والجمالية¹، نلج إلى قراءة العنوان: "لك القلب أيتها السنبلة" فسنبلة الشاعر هي المرأة هي الوطن هي عالم النقاء الطاهر. بطاقة مشحونة بالتعبير التأثيرية و"الالتفات إلى ظاهرة الشحن العاطفي والوجداني ويكون قلبه هدية للسنبلة الوطن، السنبلة المرأة الشريفة العفيفة، السنبلة عالم الذات الإلهية.

"الحلم يقتل مرتين" أول عنوان يستدعي التساؤل.. أي حلم ذاك الذي يقتل مرتين؟ ولئن هو هذا الحلم؟ إنها أول جمالية تكسر أفق التلقي لتعبر عن الألم والضيق. وما أعنفها معاناة حين يتسربل الإحرام إلى داخلنا ويقتل فينا الحلم. الملاذ الوحيد يتسربل فعل الإحرام ليصبح فعل القتل حقيقة بلفظة مرتين التي جعلت من الألم ألمين ومن الجرح جرحين. ولترسم تحت هذا العنوان خريطة البلد التائه الحزين متقدماً بلهيب الغربة والضيق.

وبالأمس ألقيت سنبلة قد خبا سحرها

على خدها حمرة من رحيق الهوى

وفي عينها جمة من لهيب الجوى

وفي المقلتين رأيت الدموع التي هزني صوتهما².

ترسم من خلال هذه المقاطع صورة الوطن ملتهبا بعواطف الحزن والضيق. وطن هو السنبلة، هو المرأة الحسناء انطفأ إشعاع جمالها الساحر فكانت كالشمعة تذوي ويخبو ضوءها، وكان فرط الوجد شواظ جمر تحمله العينان. ولكن كيف بالجمهر أن يستقر في العين؟ إنه المستحيل الشعري الذي يبعث في الصورة الحياة، والأسلوبية هي

1. عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية. بين النظرية والتطبيق، دط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

ص ص 47، 48.

2. ديوان "لك القلب أيتها السنبلة"، منشورات دار الأمل، تيزي وزو، 2000، ص 8.

"قراءة في كيفية الكتابة المتميزة لمؤلف معين"¹ هي رؤية لعمق الحزن بلهيب النار لما
لثلاثين من حرقة وألم، حرقة الوطن، حرقة الأم السنبلة ليهتز الشاعر من صوت
الدموع وكأنما هي كائن ناطق له صوت فيسمع ولسان فينطق. ارتسمت من الدموع.
فصارت مائية مرئية صرخة وكلمة لقد انصهرت هذه الصفات السمعية . البصرية .
والحسية ليصبح الوطن سنبلة. سنبلة بما تحمله من جمال وتحد وعطاء دون مقابل.
سنبلة يحبو سحرها وينطفئ إشعاع جمالها، ورغم ذلك تظل تحتفظ بجمالية خاصة لما
في قلبها من عواطف الحب الصادقة. إنه رحيق الهوى خصب واستمرار وحياة.

ويستمر الشاعر في رسم هذه الصورة الكئيبة فيقول:

فذي حمرة الخد الحياء الذي قد سرى والخفر
وذي جمرة العين الإباء الذي لم يعد يصطبر
وذي دمة الحزن الرجاء الذي طغى فأنهم
وها لم أزل أنتظر..

يدنا من هيب السنى تمسح الحزن عني
وتحميني جمرة بالبطولات لا بالتمني².

أسلوب شعري أوقع حسا جماليا تأثيريا على المقاطع كلها. حين تضطرم السنة
الذيران . نيران الشجى . في عيني السنبلة، في عيني المرأة، في عيني الوطن. وحين
تنسكب الدموع لتتحدث بلغة الألم عن الحنين.

بالأسلوب الفني نفسه يستمر الشاعر في رسم صور الكتابة القاعة: "فيض من
الشوق طالت جوانبه فأنهمر". فيض من الشوق.. والشوق شعور نفسي داخلي
يدفع إليه الحب والبعد. مددها الشاعر لتعانق عالما دون حدود. عالم التصوير الفني
الذي يجعل من اللاممكن ممكنا، وهذا الأساس تنادي به الأسلوبية ويقره "شارل بالي"

1. فرحات بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث . دراسة في تحليل الخطاب، ط1: مجد:
بيروت. 2003، ص17.

2. لك القلب أينما السنبلة، ص 10 -

حين يحدد الأسلوبية كونها مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفياً في المستمع أو القارئ بإضافة ملمح تأثيري إلى التعبير يحمل محتوى عاطفياً، ينسكب الشوق إذن كتلة من العواطف المنسربة وتتهمر دفعة واحدة إن طال الألم واعشوشب الشوق وانكسر عقد الصبر. فهذه الصورة وغيرها من الصور تقوم على أساس المنافرة الدلالية التي لا يتلائم المسند والمُسند إليه فيها، وهي حالة إنزياح يتم فيه خرق اللغة ويتحقق على مستوى السياق².

وعلى نمطية التعبير هذه القائمة على أساس المنافرة الدلالية بين الألفاظ الداخلة في تركيب الصور، يستمر الشاعر في رسم صور القتوم المعبرة على الأسى والتشرد والغربة الروحية أمام غربة الوطن وضياعه. يقول:

لأي شيء مقامي فيك يادار	وقد تراءت لمن خائوك أخفّار
لأي شيء؟ هنا ليل يحاصرني	هنا سواد من الأحقاد غدار
هنا السفالة نشوى بازكاستها	هنا السفالة في أحقادها النار
هنا النذالة في أحشائها بطر	ولا تسلي، فإن اللؤم بطار ³

مل الشاعر المقام في بيت، في وطن يرتفع صوت الخيانة فيه عالياً. تحيط به ضبابية سوداء قائمة. لياليه عابسة مكفهرة، اسودت من الحقد والضغينة، كل الطرق مسدودة: السفالة، الجهالة، النذالة، اللؤم... صفات للدناءة تحيط بقيمها البذيفة بوطن الشاعر المنكسر، هذا الوطن الذي رسمه بيتاً لما ينبغي أن يحتوي عليه من ضلال وارفة من الحب والمودة والإخاء. إنها أحلام الشاعر ولكن بيته مع الأسف، وطنه الجريح اتضح أن به خونة ذوي أظفار يغرسونها في كل قلب ينبض بالحياة والأمل

1. فرحات بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص 18.

2. فريدة مولي: انزياح الخطاب الصوفي عند النفري. المواقف والمخاطبات أنموذجاً، مخطوط ماجستير، تيزي وزو، 2000/2001، ص 90.

3. لك القلب أيها السنبلة، ص 12.

والارتفاع. كيف سيحلوا له المقام والليل الأسود القائم يحاصر وطنه برذائل الوجود:
الحقد والغدر.

هي المعاناة نفسها ظهرت جليلة في بيته من قصيدة "صهيل الأشواق":

مل المقام على أرض تقاسمها حكم يحور وشعب ليس ينعق¹.

رغم اختلاف بنية الصورة البيانية وشكل التعبير فللشاعر خيال جامح وقدرة
تعبيرية عن مشاعر تعبر عن الألم الكبير، إنه يعبر بأكثر صراحة أنه مل المقام في
وطنه الذبيح، وطن ذو قطبين اثنين لا ثالث لهما: الحكم الجائر والشعب المستعبد.
غضب الشاعر "يومنجل" دفع به إلى التصريح أن شعبه مجموعة عبايد لا أمل
في عتقها.

وفي محور الوطن دائما يخاطب الشاعر دائما ذلك الفكر المتسامق، الاستشهادي
الذي حمل الشاعر معه آمالا كبيرة في تخليصه من الأغلال التي تكبله داخل وطن
أسود:

يا سيد الشهداء في البلد الذي	جثمت على خفقاته الأنذا
طانتك منهم أذرع ملتأة	بدم الألى خفقت لهم آمال
إذ كنت فيهم سيدا يهب السنا	للمدجلين شروقه الهطال
فوجبت روحك للحبيب رضية	ومضى إباؤك ليسليس يطال
وقد مضى بعد العبيد وذكرهم	ومضت تغني لحنك الأجيال
نسري فتلمح في الدروب معالم	رسمت يداك فيزهر المنوال ²

بشيء من التحدي وبكثير من الأسى يخاطب الشاعر أملا تولى. اعتمادا دائما
على اللغة التصويرية "فالإمكانات التي تقدمها اللغة إلى إبداع الكاتب يكمن في

1. المصدر نفسه: ص 17.

2. لك القلب أيتها النسيلة، ص 17.

الدغة نفسها في حركتها وفي تطورها الدائم¹ نبضاً رام فيه آماله وأحلامه المنكسرة. إنه نبض سيد الشهداء... ولكن من هو سيد الشهداء الذي أبى إلا أن يهب نفسه فدية للحق وفدية لكلمة الإخلاص... إنه رمز للفكر الصامد. ذاك الذي جاهد من أجل تكريس رؤية جديدة وفكر جديد يرتبط بتعاليم الإسلام ليفتح وفق هذا الدستور وطناً جديداً. رؤية وفكر من أجل وطن الإصلاح والاستقامة مبدؤه نخب الشرع الإلهي المبين... ولكن يا لخطب الشاعر... لقد سقط حلمه شهيداً، المعلم المتسامق، الزعيم الذي حمل على عاتقه مطلب الإله من أجل التغيير وثبتت شعائر دستور قومه. جثمت على خفقاته الأنذال. سفلة القوم، المستبدون، المتملقون، ارتقوا فوق هذا القلب النابض بالحياة والنابض بالصالح.

وكما وهب نفسه لخدمة الحق والخير والصالح في الحياة الدنيا فقد وهب روحه لله لما أتاه نداء ربه:

وهبت روحك للحبيب رضية ومضى إياؤك ليس ليسيطال².

إن روحه لا تساوي شيئاً أمام خالقها فوهبها له مطمئناً راضياً طاعة له وحبا فيه، لباه حين ناداه فقام ينشر الفضيلة ويغرس في النفوس الثائفة المبادئ الرشيدة ويعلي كلمة الحق. ألا يكون بهذا واهباً نفسه لربه في بلد يحاول السفلة فيه طمس كلمة الإسلام ومعالم انتمائنا إلى أعظم حضارة على الإطلاق: الحضارة الإسلامية. لقد وهب نفسه فدية للحق رافضاً المساومة فيما يحمله من مبادئ. إنها عزة النفس والكبرياء الجامح. خصال لا يبلغها إلا من عانق السماء. وما موته إلا حياة، فلقد خلف وراءه لحناً تترنم به الأجيال "ومضت تغني لحنك الأجيال"، إن الصوت

١. مجموعة من الكتاب الروس: المدخل إلى علم الأدب، ترج أحمد علي الهمداني، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2005، ص81.

2. لك القلب أنتها السيلة: ص17.

لدي وهب نفسه رخيصة لأجله، وأمله في ظهور أمة تحمل خطابه لم يخب، فجعل الشاعر من تلك الكلمة لحنا لما له من سحر ووداعة وقدرة في التأثير على القلوب. بالأسلوب نفسه ومع عنصر الغرابة الذي يعتبر معيارا للإبداع ترتسم رمزية أخرى للشهادة والأسى مع صور للكآبة والدموع والآهات، إنه رمز "الحسين":

سقط الحسين مضرجا بإبائه	واها على حلم ترعزع في دمي!
كم قد غدتوتك من ربيع محبتي	وعزقت لحنك رنة في مبسمي
ناجيت طيفك والأمانني ثورة	ورسمت وجهك سحر شمر ملهم
كنت الحياة ترف من فرط الهوى	والنساء كنت على ثرى قلب ظمي
قتلوك يا نبض الفؤاد وأنسه	هل بعد قتلك في فؤادي من دمي؟
نفكوا ربيعا كان يشدو للورى	واحسرتنا! صلب النشيد على فمي
انكون بعدك يا حسين مفازة	والجرح ينزف ماله من بلسم!¹.

سقط "الحسين" إذن ذاك هو:

سيد الشهداء في البلد السذي جثمت على خفقاته الأندال².

سقط "الحسين" رمز الإباء والجموح، رمز الحلم المسيي. إنها مأساة كربلاء تعود لتتلو سنفونية التشرد والتمزق والضياح للوطن الذبيح، للفكر الشهيد ولغد الأفراح الذي يأمله الشاعر.

هي مقاطع ارتسمت من خلال انحرافات دلالية مشكلة صورا فنية تكسر أفق تنويع كقولته: "مضرجا بإبائه". ما الذي جعل الشاعر يعدل عن الدماء إلى الإباء؟

¹. إن القلب أيتها السيلة، ص 14.

². السندور نفسه، ص 17.

إنها محاولة من الشاعر للارتفاع بمقتوله، ليثبت فيه الحياة الثانية. سقوطه ارتفاع، وموته حياة. أم أي سقوط هذا يرتقي بك يا "حسين" إلى سماء العزة والكبرياء؟
إن الشاعر يتماهي مع رمز الفكر الأصيل، شعاع النور المتسامق والغمامة الرشيدة المنهوشة، رمز الإشعاع المتقد دوماً الحي الذي لا يموت ولا يضرع إلا بأفانين الإباء، إنه "إشعاع" الحسين الذي استشهد في كربلاء الحزن. والحسين الرجل الذي استشهد بالوطن الجريح، و"الحسين" الفكرة التي قمعت في عقر دارها في الموسم الذي انحضر فيه الربيع.

بعواطف الألم والجراح يسرد الشاعر ترانيم الأسى على حلمه المغتال الذي طالما انتظره، وطالما ناجاه وطالما ناجاه، وطالما تغنى به، إنه يسرد زمن الحسرة والألم بعد سقوط هذا الاستشهادي البطل، بعد أن أحرقوا ربيعاً جميلاً، بعد أن قطعوا أوتار لحن عذب.

ومن هنا تتأكد غربة الكاتب وتفرد ووحشته، في كل هذا يبدو الأسلوب وكأنه شيء صادر عن عمق الجسد والروح معاً.

رجل "الحسين"، سقط سيد الشهداء، قمعت معالم الإصلاح، وبقي الشاعر وحده ينزف جراحاً، فالشخص المقتول، الحلم المقتول، الفكر المقتول ليس كأى كان إنه حبه القدسي أعطاه جوانحه، حياته، آماله، غده وكل ما يملك... يقول:

1- قتلوك يا شذو البلابل، غنوة الأطفال، يا عبق الربى

قتلوك يا أغرودة من كبرياء الجمد مطلعها، ومن فنن الإبا

قتلوك يا من برعم الأحلام سوسنة، فهلت مواسم مرحا

قتلوا صباحك، لحنك القدسي، طلعتك التديبة.. هل قتلوا سواي؟!

5- أنا يا شهيد الروح محترق الحشى، أذوي وأحرق في طيب من أساي

أنا يا فقيد انور مغترب الخصى أمضي وأغرق في بحر من حواي

أنا شارد العبرات أنثرها دما يلتظ في كبدي ويصعد من حشاي¹.

فهذه المقطوعة تأسست من بدايتها إلى نهايتها وفق قاعدة الانزياح التعبيري، والانزياح يشكل مقوما من مقومات الشعرية، حتى إن بعض الدارسين نظر في الشعرية على أنها انزياح². ثم إن الانزياح يسمى ويشكل الانحراف الدلالي وهو الذي يحقق للأسلوب التفرد الذي يميز شاعرا من آخر أكثر مما يحقق المضمون أو المحتوى التعبيري³. فكيف لكبرياء المجد أن تكون له أغرودة ثم كيف لهذه الأغرودة أن تقتل. تزوج الحسي بالمادي وتركبت دلائل مستحيلة، تبرعم الأحلام كما الأزهار، تحليل المأسم وكأنها أناس. تجسيدات وتصويرات مكثفة جعلت الأسلوب يرتقي إلى الغنية الجمالية. انزياحات شكلت صورا بيانية جميلة من تشابه واستعارات وكتابات كلها لترسم جلال المصاب والآلام والدموع التي بعثها الشاعر مترجمة عن كيانه المفجوع فيه.

"شدو البلال" إنها الحرية التي تبرعم رغم القهر، إنه الفكر المقدس المتسامق يخلق بإخلاصه في سماء العزة. إنها أغنية للأطفال بريئة، عذبة، مخلصه، إنها رائحة عطر الربى الفبحاء. كل شيء فيه جميل، كل ما يبته يشرق ويخلق ويتسامق لكنهم قتلوه..

يستمر الشاعر في رسم صور الحزن والأسى والحذلان. يطبع الشاعر من خلالها على الفقيده حصالا تجعل منه نبراسا للدهشة والتعمق العميق والطويل.

ما أجمل أن يكون الإنسان مطلع لأغرودة من كبرياء يقولها الشاعر بكل ثقة وصدق واعتزاز. إنه يعبر عن تسامق الفقيده وعن قدرة الشاعر التصويرية. فقد طبع الصورة بطابع الرمزية وطابع التجسيد. فشهيده أغرودة الحزن مطلعها من أسمى قيم

1. لت القلب أيتها السنبلة، ص 25.

2. عبد الرحمن غركان: مقومات عمود الشعر في النظرية والتطبيق، دط، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004، ص 35.

3. لمصادر نفسها، ص 39.

الوجود: إنه الكبرياء. كبرياء المجد والانتصار، والخلود، كبرياء الجموح والتعالي والعزة والإباء.. ولكنهم قتلوه.

وتتواصل سرد الفجيعة، يرسم الشاعر من خلال مناقب حلسه المفجوع فيه، من خلال مجده، من خلال كبريائه صورا نابضة بقيم الأصالة والمعاصرة.

بهذه الرمزية، بلغة جمالية منزاحة، تجمع ما بين الوجدانية والمعالم الروحية يختتم الشاعر قصائده بآمال الفجر الجديد. إنه يؤمن بأن الحياة ستعود حاملة معها اخضرار الربيع، يؤمن بأن الليل سينقضي مع طلعة فجر جديد، يقول:

غدا تراني مسافات وألوية يحفها الأخضران المجد والغار
غدا ترى حلمي الريان منسكبا لحنا وتحتال في أفراحها الدار
ويقول:

وغدا ستلتهم السيول رمادهم، تنفتق بالأزهار

يشرق في دمي نغم الحسين

وغدا ينضوي فحرنا وأرى الهوى مترنما، وتغرد الأنسام ملء القبلتين..¹

بعد شعرية "الحسين" الفكر الشهيد المقموع، بعد ترانيم الأسف حول الوطن الذي أضحي مسرحا للتراجيديا، يرحل الشاعر في الجزء الثاني من ديوانه "السنبلة" إلى عالم آخر في غيبوبة طويلة مع رحيق الحب الإلهي في تمجده الصوفي، يقوم بـ"رحلة في الظلام" (عنوان الجزء الثاني من الديوان) حين تنام الخلائق ويعم السكون فيحلو له جو السفر إلى الله والاقتراب منه:

سرى في ظلام يلف الدني وفي قلبه قبس من "دنا"

تملكه كوكب راميه فأوحى إليه: "أقم عندنا"

سباه المقام وأعجزه بلوغ المني فدعا "ربنا"

هنا سكني حيث لا تربة يطيب مغارسها والجنسي

1. لك القلب أيها السنبلة، ص 26.

إذا رمت وصلكم ليلة وناجيتكم ساعة موهنا
يحيى النهار بظلماته وريح به فيكون الونى!
أسير فلا نسمة من ندى وأصغى فلا نغمة من سنا
أراني أسير إلى مطمح بعيد بعيد، فيا للضنى!
فأوحى إليه الخلود الذي تغازله رفراتالمنى:
"هو الحب إن رمت فلا تجعل غيره موطننا
وقد رمت وصلا فأخلص له ولا تلتفت هاهنا أو هننا"¹

بهذه اللغة الرمزية، وبهذه الصور الشعرية يصور الشاعر رحلته في الظلام في حوار بينه وبين ذاته المرتبطة بالوحي الإلهي، يشكو العثرات التي تنتابه في رحلته آملا "الاقتراب من حبيبته المرحى فيحييه حسه الداخلي داعيا إياه إلى إتمام الرحلة متخذا من هذا الخيب الأزلي وحده الحب، وحده الأمل، وحده الوطن. يدعوه حسه الداخلي ألا يأس ولا ينكسر مادام إلى وصله فقط يحلم الفؤاد:

إلى وصله يشرب الفؤاد فيا أيها القلب صلني أنا²

سيظل سائر، حاملا بالالتحاق، آملا في تذوق حلاوة الذوبان في العالم الآخر. عالم الطهارة والنقاء. يقول:

بني أمشي... أركض، أجري

ألتفت في البحث عن الفرح الآتي من أعماق الفجر وأقول:

غدا أصل³.

بكذا العنوان وبهذا الهيجان، وبهذا الحس التعبيري ترسم أحزان الشاعر كلما أحس بالبعد، كلما شعر بحلم الوصول يخبو، يستمسك بالفرح الآتي من أعماق

1. لك القلب أيها السيلة، ص 40.

2. لك القلب أيها السيلة، ص 41.

3. لك القلب أيها السيلة، ص 31.

الفجر. يصور الشاعر هذه الأحزان وهذه الأحلام البريئة التي لا تطلب غير العيش في نعيم الوصل بالذات الإلهية في رمزية مكسرة أفق التوقع تصدم المتلقي بجملة من الانزياحات كقوله: "يجرح أحلاماً أنهكها الملل"، أي حلم ذاك الذي يتناقض ليصير صحرة قعساء تدحرج. إنه حلم الشاعر الذي أنهكه الملل لطول ما سكن جوارحه.

إن الخطاب الأدبي مكان لبروز لغة الدلالات الإيحائية، والنص الأدبي يحمل في داخله قوة إيحائية، فهناك جزء كبير من المعنى غير موجود بوضوح في التراكيب الظاهرة للنص، لذلك نجد أن العمل الرمزي هام جداً فيه، ونلاحظ كيف تبرز معظم الدلالات الإيحائية من خلال الانحرافات الدلالية التي ترسم صور الشاعر المركبة والبسيطة مختزقة لغة الخطاب العادية منزاحة عن الاستعمال اليومي مكثفة الدلالة معمقة أثر التعبير.

ففي قصيدة "أبحث عنك فأينك" في رحلة الشاعر إلى عالم الوجود الصوفي باحثاً عن وجه النقاء، ساعطاً على العبايد الذين يقفون بينه وبين هذا الوجه الطاهر يقول في نبض الحرائي - إيحائي :

حالوا بيني آه وبينك

أبحث عن وجهك في كل الأنحاء

ولست أرى غير الأصنام فأينك؟

وجهك يافرح الأيام رواء ينهله البصر

وهواك رذاذ من عبق

فيض تشربه الروح

نسيم ينشقه القلب، رياض تزدهر

فلماذا تصرف وجهك عني

تحرمني قطرات من فرح

وسماؤك فيها الفجر الأنداء، الغيم، المطر¹.

وجه من ذاك الوجه الذي يبحث عنه الشاعر؟

يبحث الشاعر عن الذات الإلهية الجليلة، ولكن العبايد سفلة القوم الذين
يعملون طمس معاملته في أرضه التي أورشها عباده الصالحين بنشرهم أهازيج الرذيلة،
والإفحال والطغيان والكفر. سفلة القوم يكونون سببا في انصراف الله بوجهه عن كل
خلائقه كما يقول الشاعر. فالقيم الأسلوبية أو القيم البلاغية. كما يقول بايي. لا
تكمن في قوائم القيمة الثابتة وحدها كما يقول البلاغيون القدماء، لكن القيمة
"الأسلوبية الحقيقية تكمن فيما أسماه "المحتوى العاطفي للغة" وهذه القيم العاطفية لا
ينبغي أن تكون محصورة في الصور المحدودة التي اهتمت بها البلاغة التقليدية فليس
جمال التعبير مقصورا على المجاز وحده فقد تكون الصور الحقيقية والبسيطة في بعض
المواقف ذات قيمة جمالية أو بالأحرى ذات محتوى عاطفي². وهذا المحتوى العاطفي
يتأكد في هذا المقام بالذات فإذا به يصور الذات الإلهية على أنها كل الكل، الغيم،
نظر، الرياض المزدهرة، كلها تنصرف عن الشاعر رغم حبه لها وتعلقه بها وأمله في
لقاءها لكن الله يرفض رحلة الشاعر إليه ويتركه في الجبل وحيدا يتأسى بحلمه ويكي
فشل الوصول:

آس.. على الحلم الذي مازلت أحمله ويحملني

آس.. لماذا كلما باشرت رحلتي البعيدة نحوه

ينسل منسحبا ويغذلي!

آس على الحلم الذي مازلت أرمقه بعين كلها لهف

لماذا كلما سافرت منجذبا يسحر جلاله الريان

يرمقني وينصرف!

1. القلب أينما المسئلة، ص 32.

2. محمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث. ص 31.

ولما أن تميم اللهفة الخضراء في قلبي إلى لقاءك ترتحل، تقهر دونك النحوى
وأسمع صوتك النائي يقول: "وداعا أيها الرجل"¹.

في رمزية مثيرة يعبر الشاعر عن مدى عذابه لفشله في تحقيق حلمه والوصول
إلى مبتغاه . وصل الله . لكن هل مبتغى الشاعر الوصول إلى الله في لذة الوصول
الصوفي التي يتحدث عنها الحلاج والنفري وابن الفارض ورابعة العدوية أم أنه
يقصد الوصول إلى رضا الله؟.

إنه يتعذب يدعو الله رغبة ورهبة يشعر بالتفريط في جنب الله، يشعر وكأنه لا
يستحق لا رحمة ولا حبا ولا غفرانا.

إن الصوت النائي هو صوت الشاعر المتعلق بالله دوما والذي يحاول أن يفصله
كلية عن معالم الحياة الدنيا، ولكن الشاعر لا يمكنه . وإن حاول . الارتقاء إلى
مصاف الملائكة. هو الإنسان بكل ما فيه، مجبر على الخضوع إلى أهواء الدنيا في
ضرورتها، لذا تجده يتعذب، يشعر بأن ربه صارف وجهه عنه ويرفض إقامته عنده،
بل إنه يودعه وداعا نهائيا. لكن هل هو الوداع أم أنها قمة الوصل، وقمة الذوبان التي
تتجلى واضحة هنا أمام المحاورة المباشرة دون وسائط، محاورة بين الشاعر وذاته المتعلقة
بالله في إحساسه بالبعد وأمله في الرحلة الدائمة دون عودة. أمل في وصل لا
انقطاع فيه. تلك هي النشوة الصوفية، تلك هي اللهفة الخضراء الدالة على الحب
سبحان، والغربة الروحية وطلب احتضان الكمال:

فمن سأظل أحمنه ويحملي؟

ومن بجلاله الصوفي يأويني ويحضني؟

ومن أحياء أغنية الشريد الهائم الجواب أودية؟

بلا صاحب ولا وطن؟²

1. لك القلب أيها السبيلة. ص 34.

2. لك القلب أيها السبيلة. ص 34.

تجسد هذه الوحدة وهذا التشرّد الذي يعيشه الشاعر في هذه الحياة المعبرة عبر
إثرائحات تعبيرية تعزف ترانيم الغربة والضيايع. لا يوجد من يحياه أغنية تهدده في
قياسي لا صاحب بها ولا وطن.

ما من شيء سيحرمني من الوصول إليك . يقولها الشاعر بملء فيه . إني هائم
بحبك: سآقي إليك إلهي: راكعا، خاشعا، باكيا، ساجدا، قائما، آتيك أجر ما بقي
في من إنسان، مجابها كل أنواع العثرات، آتيك وعيناي تهفوان إليك: لأنت الحلم،
لأنت المني فهل ستحتضني بنورك؟؟؟

إني أعيش الغربة والضيايع فيما أن تأويني أو تريحني من حياة ما عادت تصلح
حتى للعب:

انسكي انسكي يا كل دموعي انسكي
والنهي يا كل ضلوعي ثم تلاشي وانسحي
واقترّب الآن أيا ملك الملكوت الأعلى اقترّب
أنا في هذا الكون بقايا روح منسحق مغترّب
فخذ الرميّ الموشك أن يتلاشى، ذرات تسبح فوق السحب
وتعالي برفات الروح الضامي عن أرض ما عادت تصلح حتى للعب
أحلامي ما عادت تحمل غير الآل، وأيامي لا تحبل إلا بالكذب
وكفى أحلاما شاردة وحياة لا تحفل إلا بالتعب¹.

إن الحياة عبث هذا ما قاله الشاعر . حياة تقتل ولا تحيي . فلتأت الخمرة
الصوفية، والنشوة الذوبانية الاتصالية بالذات الإلهية، فإنه أضحي مجرد بقايا روح
منسحق، مغترّب. هي صورة تعبر عن الضيايع والألم والغربة في هذا العالم، أفلا
يستعيد الحبيب المرتقى، أفلا يمكنه أن يحيا أمام:
روح الأرواح وحلم الأحلام، وسر الأسرار

ملك المنكوت وحسق الحق: نور الأنوار
كل الكل: الأول الآخر، قدر الأقدار
يهون عليه كل شيء إلا هجر ذات الجمال والجلال والإحسان. يقول:
دعني وحنانيك فلا تفجعني.
إن عز الوصل فهبني بعضاً من بعض رضاك
وإذا عز، فلا تقل أيا رباه فياني..
لا أصبر، لا أصبر مولاي على بعض فلاك¹.

بيتان كافيان للدلالة على مدى تنكر الشاعر لهذا العالم وتنكر العالم له، عالم لا يعرف منه غير الأسى والجراح، إن الشاعر مرتبط بالله. هو بالنسبة له كل شيء ذائب في حبه، هائم بجواه، يتفانى فيه، يشعر بقربه منه لحظة، ويبعده عنه لحظات، يشعر بلذة الوصل ليلاً وبمأساة الفارقة نهاراً؛ ويظل يحلم بالرحيل إليه أبداً عبر هذه الدلالات الإيحائية، كان حديث الشاعر عم مأساته في الحياة، عن أمله في احتضان عالم الحيوان، عالم الخلود، عالم الذات الإلهية الطاهر، كان حديثاً عن العثرات التي تعيق مسار رحلته، حديثاً عن الرفض والثورة على حياة النذالة والسفالة، حديثاً عن التحدي ومواجهة الواقع، إنه السمو والخلود، بشحنات عاطفية تتدفق عن رغبة جارفة، وإرادة قوية والأسلوبية كما يقول "عبد السلام المسدي" "ثعني بالجانب العاطفي في الظاهرة اللغوية وتقف نفسها على استقصاء الكثافة الشعرية التي يشحن بها المتكلم خطابه في استعماله النوعي"². يقول في آخر بيت من قصيدة "الجرح والكبرياء":

ولا أسف فجرحي كبريائي وأحزاني المقدس والجليل³.

1. لك القلب أينها السنبلة، ص 43.

2. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 41.

3. لك القلب أينها السنبلة، ص 44.

... هذا رثيتم مرثيا... إنه التسامي في أنصع ثيابه.. عندما تصبح الجراح
والأحزان كبرياء؛ كبرياء الخلود، كبرياء الجموح، كبرياء التسامي؛ وعندما تصبح الرحلة
مستوية إخلاص ووفاء للحب الإلهي.

من أحلام الوطن ورحلة التصوف إلى عالم المرأة، بمسمات خفيفة، ونفحات
زهرية تملح سنبلة الحقول الجميلة بعفتها؛ بظهارتها، يجموحها لتغرق الشاعر في عالم
الأحلام والأوهام والآمال. تطلع السنبلة كما الأحلام الجميلة فتمد الشاعر بالمداد
يغير وفقه عن رؤاه تجاه هذا العالم الغريب في نظر الشاعر. كان عنوان الجزء "لك
يا زهرة الكبرياء" مفتاحا للولوج إلى مغاليق المعنى وأسراره الداخلية ومقاصده
الظاهرة والخفية.

يتأهل العنوان أن الشاعر يقدس الكبرياء، إنه عنوان للجمال، عنوان لإثبات
لوجود: عنوان للعفة والتسامي، ولا أسف إن منح قلبه لمثل هذه المرأة التي ترتوي من
سبح العفة والفضيلة:

يا زهرة الكبرياء

تدالي نغرد في الظل لحن الخلود

وأنضي توحد رحلتنا البسملة¹.

إنما العفة المستقاة من يتابع إسلامنا الخفيف، إنها الأخلاق الفاضلة التي يؤكد
من خلالها الشاعر أنها تقيد المرأة والرجل في حدود المعقول، ولا يمكن للأبواب أن
تفتح أمامهما إلا بكلمة الشرع المبين (البسملة).

ذاك هي الحياة المثالية التي يبحث عنها الشعراء منذ الأزل، وتلك هي المرأة التي
يبحث عنها الشاعر، تتفتح بمعالم الفضيلة والعفاف، نقية، محتشمة في جمالها، في
لباسها... في تأملاتها:

1. البسملة، ص 5.

وحوراء ترفل في الظل
والشمس تشرق من بين أوراقها المقفلة
على ثغرها ألف مروحة من ندى
والنور ترسله ومضة من غمام على صدرها مسبلة
تخبئ في الظل أنوارها
تكتم في الروض أسرارها
وينبع من السحر ينسل منسربا من خلال الإهاب
صدى نغمة مرسل¹.

إن الشعر بقدر ما هو ممتع فهو فينبغي أن يكون مفيدا، الشعر حين يوحى يعلم
ويكون رابطا بين الإمتاع الجمالي والتعليم الأخلاقي² لذا رأى الشعر أن من واجبه أن
يعطى رأيه الذي يراه نصحا وتحذيرا للمرأى. هي رؤيته للمرأة كيف يتمثلها، وكيف
يأملها. المرأة الأم، المرأة الزوجة، المرأة الأخت، والمرأة الابنة. برموز تصويرية وصفية
يرسم السنبلة وفق معالم الكبرياء والحياء والإباء. بل إن جمال المرأة عند الشاعر
"بومتجل" تضمه كلمتين: الحياء والكبرياء.

وتأرجح في خفر يله الندى يا حبذا ذاك الجمال الأخفر³

ويقول:

أراها تفتق بالكبرياء

وتغضي إذا هبت الريح مشرقة بالإباء

كذلك تغضي على سرها السنبلة⁴.

1. لك القلب أيتها السنبلة، الصفحة نفسها.¹

2. عبد الرحمن غرّكان: مقومات عمود الشعر في النظرية والتطبيق، ص 169²

3. لك القلب أيتها السنبلة، ص 54³

4. المصدر نفسه، ص 57.⁴

وفي شدي يرسم الشاعر صورة امرأة التي لا يريد.. المرأة التي يعرض في ساحها
الفسيق وتتنقب بمعالم الأخلاق، هي كما الورد في جمالها تفتتح في الصباح لتذوي
سبح وأصيل؛ هي كما الأنوعية تقذف حين الملل.

يرسم الشاعر صورة هذه المرأة المنحطة في قصيدته "حمرء حين ذوى سحرها"¹
يقول:

وحمرء تفتح للنور أوراقها المقللة تفتحها الشمس للعايرين

مفتحة للأسماني

بكل البهارات ألوانها منقلة على صدرها تسرح الأعين الهائمات

ومن عطرها تنهض الفتن النائمت

ويطرها اللحن يعلكه الراشفون:

أريج الحوى أنت، نبع الحياة وروض من السحر ما أجمله!

هي المرأة التي لا تعرف معنى العفة والأخلاق والفضيلة، فتجلب بطيشها
والإغلاها أعين المرضى الذين تستهويهم مفاتها الرخيصة: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ
إِثْمًا مَرَضًا" البقرة/ الآية 10. تغوي هذا وذاك من ضعاف النفوس بما تبعته من تبرجها
وما تبعته من خضوعها قولاً وفعلاً: "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ
وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا" الأحزاب/ الآية 32. ثم يغريها هذا وذاك بكلمة الزلة والعبادة،
والشيد السحر والجمال إلى أن تجد نفسها في درك الحقارة:

نشق أوراقها للأيدى

نعابها الريح في كل وادي

وينسل منها الأريج يبدده الراشفون

تلاحقها نغمة مرسله:

¹ القلب بينها المسببة، ص 55.

"ذوى سحر هذا النوار المشاعة أسرارهِ للهِجير

وامتصت الشمس أنداءهُ

لم يعد يمنح العابرين الأريج

فما أحقر الآن هذا الجمال

وما أرذله"¹.

تتلقى نظرات ازدراء وتهميش يطبع على جبهتها وشم الوسخ الأزلي. تنبذ وأول
من ينبذها ذاك الحبيب المدعي الذي أذاقها عطر الهوى يوماً وعطر الندامة والحسرة
بقية أيامها. يقول:

يغادرها العطر بلا عودة

يجف الذي تبقى لها من ندى

تبهت ألوانها الزاهية!

تؤوب إلى بذرة النور غائرة في الظلام

تقتلها الحشرات على روضة

كانت تظلل أوراقها المقفلة².

يا ليتها التزمت بعفافها... يا ليتها حجبت ذلك الجمال... يا ليتها منعتهم
الوصال لظل لها إشراقها، قيمتها، وكرامتها.

تمكن الشاعر من أن يرسم من خلال رمزية مكثفة هذا النمط من الإناث الذي
يتهاوى إلى مهاوي الرذيلة والانحلال والهوان من خلال صور شعرية فيجعل من
الجمال الذائب عطرا تفوح رائحته لحظة ثم يذهب بلا عودة، مثله كمثل الجمال
الذي يعلكه الراشفون ثم يحرقونه.

1. المصدر نفسه، ص 55.

2. لك القلب أيتها السنبلة، ص 56.

وجعل الشاعر من لباس العفاف روضة تضلل ما تحتويه بداخلها من أنواع الأراحيق والأزاهير، كلباس التقوى الذي يخفي جمال المرأة بداخله، فيقفل عليه بمفاتيح صارمة كي لا يطمع فيه الذي في قلبه مرض، فيلتقي الحجاب مع الروضة في الاحتواء والتضليل والحماية.

ولقب الشاعر هذا النمط الفاسد من النساء بلقب "الحمراء" لما للون الأحمر من دلالة النصوع. نصوع المفاتن وفضحها وإثارتها للفت الأنظار، وجلب الانتباه، واللون الأحمر دلالة الخطر عموماً، سواء في إشارات المرور، أو بعده لونا للدم والنار. وهو لون ناصع، مغر.

وبعد المرأة الصالحة والمرأة الفاسدة، وبعد صور الوصف والمقارنة ينتقل الشاعر إلى الحديث عن قلبه الذي ارتبط بالحواء، امرأة انبثقت من الطهارة والعفة، امرأة بانفتاح قلبه لها انفتح باب السلوى وباب السعادة بعدما كان يحيا معالم التشرد والغربة والضيق.

بلهفة يستهل الشاعر قصيدته "حواء" بلغة الجمال الرومانسية يتغنى بالنور الذي أشرق على صباحه بالحواء التي انبثقت مع الأيام حاملة معها أشعة الضياء، يتغنى بالوجود الذي يتعطر بالجمال النقي، بلباسها الذي يختصر اللغة في كلمتين: "أنا العفاف". إنه نمط من كسر أفق التوقع الذي يعنقه "جاكسون" "بالمفاجأة، أي تولد اللامنتظر من خلال المنتظر". لباس يقول عنه الشاعر بأنه يخفي جمالا ولكنه يتفتق من بين الأثواب ليظهر كما المنار. بل إنها المنار ذاته، فكيف بالذي يرسل النور أن يخفي نوره؟؟؟

بين الظلام لها الشروق الأجر

طلعت بها الأيام فجرا يسفر

برد الحياء به الجمال الأطهر

حواء ترفل في الضياء وترتدي

وهي المنار فكيف لا لا يظهر

تخفي به نورا تسربل بالدجى

تبدو فيشرق في الفؤاد صباحها فلها عنيه به جلال أزهر¹

بعواطف الحب والوله يرتفع الشاعر بهذه المرأة صاحبة السمو الرفيع والأخلاق
المثلى ليجعل منها نبراسا للوجود وعنوانا لمعالم الاستمرارية، إنها بالنسبة إليه تجسد
كل معاني الجمال والحياة والنماء هي الفجر والنور والصباح، هي الجوهر والكوثر
ونغم الخلود وأريج الحياة البكر:

لروح منه سكرة لا تنجلي	وعلى الفؤاد به سنى لا يقهر
يرتو إليه اللحظ في طرب صفا	عن صبوة فهو الزلال الأخضر
ويغيب عن لحظي فيبرق طيفه	غسقا فينتعش الفؤاد ويسهر
يا حبه أورك، ويا إشراقه	لح في دجى الظلماء فجرا يبهـر
فلأنت والأعراض تعرض زيفها	نغم الخلود، وأنت أنت الجوهر
ولأنت والدنيا سراب مقفر	أريج الحياة البكر، أنت الكوثر ²

عينه، قلبه، فؤاده، روحه الكل يرتوي من وجودها، من رؤيتها وهي لا تغيب مطلقا
عن لحظ الشاعر، هي امرأة من خيال، امرأة قادمة من المثل العليا، ولكنه يحبها، يحياها
ويراها. حاضرة وغائبة، طيفها لا يغادره. بسمتها إشراقها.. حين تبتعد يتاجي طيفها في
وقت تنام فيه الخلائق وتهب زوبعة الظلام، يؤنسه طيف الحب فيدعوه لأن يتجدد
ويتضاعف، بل يدعوه للإخصاب والتكاثر، فهو يتاجي حبه أن يورق. إنه لا يتألم بقدر ما
يشعر بنشوة الحياة وهو يحتضنه كنغم الخلود.. وما معنى أن تكون المرأة نغما للخلود؟ إنه
وعد من الشاعر بأنه سيظل يحيا هذه المرأة. وأن حبه " يسكن مزع فؤاده دائما وأبدا.

كانت حواء الشاعر بالنسبة له حلما بعيدا، بل حلم غائر في أقباص السبات
ومع غرة عام جديد طلع عليه بإشراقه الزاهي كما الصباح الجميل:

1. لك القلب أينما السنبلة، ص 54.

2. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

هل كان لنحلم الشريد وللحشى والعين حين رأوا سوى أن صاحوا:
 هذا الذي ظلت تراوده المخي هذا الذي هبمت به الأرواح
 وغدوت أمتف يا صباحا لا تغب "فوصالكسهم ربحانها والراح"¹
 إن لهذه الحوراء على حياة الشاعر وقعها الخاص وسحرها النابض. إنه تائه غارق
 في بحر هواه، يقولها بلغة المناجاة ولغة العذاب:

أمانا على القلب يا كل هذا الجوى
 أمانا..

فما موضع فيه إلا ونار من الوجد والحسرة والالتياح
 تقلب في جمرها واقتوى
 أمانا..

ويا أيها الصحب إني لآت إليكم
 أضمد بالوصل ما جرحته النوى
 وإني

أيا من له الشوق والحب والذل والالتياح
 وذو الوحشة القاتلة..

إني.. وإن طوّح القلب عن وجهكم عاصفات الهوى

فلي حرقه الوجد والشوق
 ما إن تزال سلسلة لميمة
 تظل مسافرة في الفضاء
 إلى أن تقول إلى سدره المنتهى².

1. المصدر نفسه، ص 59.

2. لعل القلب أينما السبلة، ص 52.

هنا ترسم حرقه الوجد، ويرسم عذاب الهوى. يتغنى الشاعر بنار شوقه، يناجي محبوبته في شبه همسات يناجي ويستعطف أن تتلطف به وترحم قلبه إذ اكتوى بنار الهوى ونار الشوق. لم يعد قلبه ملكا له ولا نفسه ملكا لنفسه، بل ملكا لمعذبه التي يمنحها عواطفه النبيلة شاء أم أبى .. إنه يشعر بالذل والانصياع لها، ويشعر في بعدها بالشوق القاتل، ولا شيء ولا أحد سيسليه عن هواه. كيف وشوقه يرسم في سلسلة طولها مسافة لا ترى، يبلغها سدره المنتهى. مستقر عرش الرحمن. هو الحب العفيف الذي باركه الرحمن لطهارته وعفته. إنه لا يحجل من تعلق يراه رمزا للطهارة والصفاء، ولا يحجل من حب يمثل الأخلاق الفاضلة.

وخاتمة آمال الشاعر دوما هي انبثاق الصبح الجميل، إنه رغم الشوق، رغم البعد، رغم المعاناة إلا أن أمله في اللقاء كبير، بل إنه يؤكد أن دربه سيتحد بدرب محبوبته وإنهما سيلتقيان يوما ليعيدا للحياة وداعتها وبينان معا عشا يضم أحلامهما السعيدة:

سيحتضن الدرب يوما هوانا

وغضبي معا والربيع اخضرار

نعيد لأسراره بوحها¹.

ويقول في المقطع الأخير من قصيدة "حوراء تشرق الشمس من بينها":

لك القلب يا زهرة الكبرياء

تعالى نغرد في الظل لحن الخلود وغضبي

توحد رحلتنا البسملة².

كانت هذه إذن رحلة الشاعر بعواطفه الانفعالية التي جمعت ما بين الوجدانية والمعالم الروحية من خلال رموز طبيعية وأخرى دينية. إسلامية مكثفة، فكان

1. لك القلب أينها السنبلة، ص 53

2. المصدر نفسه، ص 57.

"أخسرين" رمزا للفكر الإسلامي المضطهد، "إقبال" رمزا للمواجد الصوفية في محرابها الطويل، "الكوثر" رمزا للنقاء والخلود، "الاحضرار" دلالة عودة الحياة السعيدة وتسامق الرؤى الإسلامية، ودليله النماء والخصب، كما يدل المطر على الخصوبة، وكان "النور" رمزا لسطوع فجر جديد.

وهذه الرموز كلها تدرج في محور رمزية "السبلة" التي تظم كل سعاني الجمال الطبيعي والعطاء والخصوبة والاحضرار والتسامق والارتفاع.

وتبقى المقاربة الأسلوبية مجرد قراءة من بين القراءات المتعددة، أو كما يقول "رولان بارت" إن النص مفتوح، والقارئ المتلقي ينتجه في عملية مشاركة وهذه المشاركة ليست هي الاستهلاك وإنما هي اندماج القراءة والتأليف في عملية دلالية واحدة¹، والنص الحي هو الذي يعطيك شيئا ويخفي عنك أشياء في انتظار قارئ آخر.

1. عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية، ص 18.